الكتاب تميز في جمعه للأدلة والآثار العلمية الدالة على فساد هذا المنهج

«إحياء التراث» تطبع «فتنة التفجيرات والاغتيالات» لمحاربة الفكر المنحرف

- أبو الحسن السليماني أحصى الأسباب والآثار وشخص المرض ووصف العلاج الناجع لهذه الآفة
- الإسلام جاء بحفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال ورتب حدوداً لمن يعتدي عليها
- الذين يعتدون على الأمن إما أن يكونوا خوارج أو قطاع طرق أو بغاة لايعلمون حدود الله

نسخة عن الكتاب

التفجير الأخير في مسجد الإمام الصادق يعكس المنهج الضال

- الدولة لا تنهض بمهمتها العظيمة إلا بالسمع والطاعة من الرعية لولاة الأمور في المعروف

- على كل عاقل أن يحافظ على سلامة البلاد وأن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحكمة
- من أسباب فتنة التفجيرات والاغتيالات الجهل بالقرآن والسنة وبمقاصد الشريعة
- الجهل بالسنن الكونية في التمكين في الأرض والطعن في كبار علماء السنة من أسباب الفتنة

ضمن جهودها لمحاربة الفتن المحدثة في هذا الزمان قامت جمعية إحياء التراث الإسلامي بإصدار طبعة فاخرة مجلدة من كتاب (فتنة التفجيرات والاغتيالات.. الأسباب - الآثار - العلاج) للشيخ / أبي الحسن مصطفى بن اسماعيل السليماني.

والكتاب المجلد جاء في 185 صفحة من القطع المتوسط، وقد قدم له مؤلفه بخطه مقدمة قال فيها: أنه قد ضمن الكتاب ما تيسر له من الأدلة والآثار العلمية الدالة على فساد منهج التفجيرات والاغتيالات الجارية في هذا العصر.

وقد جاء في الفصل الأول، وهو بعنوان (نعمة الأمن وأهميتها وسبيل تحققها والحفاظ عليها): إن الأمن والاستقرار نعمة عظيم نفعها كريم مآلها، وهي مظلة يستظل بها الجميع من حر الفتن والتهارج، فالناس لا يهنؤون بالطعام والشراب مع وجود الخوف، وقد جاء الإسلام بحفظ الضروريات الخمس: الدين والنفس والعقل والعرض والمال، ورتب حدودا صارمة في حق من يعتدي على هذه الضروريات، سواء كانت لمسلمين أو لمعاهدين.

والذين يعتدون على الأمن إما أن يكونوا خوارج، أو قطاع طرق، أو بغاة، وكل هذه الأصناف الثلاثة يتخذ معه الإجراء الصارم الذي يوقفه عند حده، ويكف شره عن المسلمين والمستأمنين وأهل الذمة.

فيجب على كل عاقل أن يحافظ على سلامة أمن البلاد، وذلك بالحفاظ على العقيدة الصحيحة أولا، وأن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحكمة وموعظة حسنة، وأن يحرص على طاعة ربه.

ومعلوم أن هذا الأمن لا يتحقق إلا بدولة قوية تحكم الناس، وأن الدولة لا تنهض بهذه المهمة العظيمة إلا بأمور منها: السمع والطاعة من الرعية لولاة الأمور في المعروف، والصبر على الجور والظلم عند وجود المنكرات، مع النصح بالتي هي أحسن.

قال شارح الطحاوية (542/2): (وأما لزوم طاعتهم - وإن جاروا - فلأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير للسيئات ومضاعفة الأجور).

أما الفصل الثاني، وجاء بعنوان (أطوار ومراحل الفكر الذي أفضى إلى التفجيرات والاغتيالات)، حيث قسمها إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: التهييج على الحكام وذكر مثالبهم وعيوبهم، وتصويرهم بأنه يكرهون الإسلام، وأنهم منافقون زنادقة يبطنون الكفر، وأنه لا تقوم للدين قائمة إلا بإسقاط الحاكم !!.

كذلك ذم كبار أهل العلم المخالفين لهم، وتنقصهم، وبيان أنهم علماء سلطة فقط، وأنهم سطحيون، جهلة بالواقع، وأنهم لعبة بأيدي الحكام من حيث لا يشعرون!!

المرحلة الثانية: جاءت طائفة أخرى وضعت لذاك التهييج والحماس الثوري قواعد وأصولا، فمن ذلك قولهم: (من نظم المعصية فهو مستحل لها، يكون كافرا بالاستحلال)، ومثلوا لذلك من يسمح في بلده بوجود بنك يتعامل بالربا، كما أنهم يستدلون بقاعدة: (من لم يكفر الكافر فهو كافر)، وهي مقيدة بمن لم يكفر الكافر الذي كفره بعينه القرآن أو السنة كفرعون وأبي لهب ونحوهما من الكفار الأصليين، أما من اختلف العلماء في تكفيره كتارك الصلاة مثلا، فلا يكفر من لم يكفره.

المرحلة الثالثة: فلما اقتنع كثير من الشباب بتلكم القواعد والأصول ضحوا بأنفسهم خدمة للدين - في ظنهم - فلبسوا الأحزمة الناسفة، وقادوا السيارات التي تحمل أطنان المتفجرات.

فإذا أنكرنا على الطائفة الثالثة فقط دون علاج الأمر من الأساس، فذلك كالحرث في الماء، وكخبط عشواء في أرض بيداء في ليلة ظلماء!!

والفصل الثالث، وعنوانه (الآثار السيئة المترتبة على فتنة التفجيرات والاغتيالات)، ولخصها الشيخ بنقاط محدده واضحة أهمها:

إن هذه التفجيرات والاغتيالات تزهق أرواح الأبرياء، ومنهم أطفال وشيوخ ونساء، وتقتل أنفسا معصومة الدم بالإسلام.

تصد الناس عن سبيل الله، وتنفر من أراد أن يدخل في الإسلام، وتضعف حجة الدعاة في بلاد المشرق والمغرب.

تهدم البيوت وتفسد المصالح والمنشآت العامة، وتهلك أموال المسلمين، وهذا مما أجمع على تحريمه، فالمسلم معصوم الدم والمال والعرض إلا بحق الإسلام، وحسابه على الله تعالى.

هذه التفجيرات والاغتيالات تقتل عددا من غير المسلمين المستأمنين في بلاد الإسلام بعهد أمان من ولي الأمر، سواء كانوا سائحين أو خبراء في علوم الدنيا التي يحتاج إليها المسلمون.

هتك أمان ولي الأمر لغير المسلمين يجر مفاسد كثيرة.

تزعزع الأمن والاستقرار، وتنزع الطمأنينة، وتثير الرعب والفزع بين الناس، ولو استحكمت هذه الفتن لما حج البيت العتيق، ولما نصر المظلوم، ولما أمن أحد على نفسه وماله ونسائه وأولاده.

جعلت غير المسلمين ينالون من الدعوة الصحيحة تحت ستار (حرب العنف والإرهاب)، ويحاربون الأعمال الخيرية والجامعات الإسلامية والمراكز الدعوية.

لذلك يجب على هؤلاء الشباب أن يقوموا لله، ويتفكروا فيما هم عليه، وفيما وصلوا إليه، فإذا لم تكفهم الأدلة النقلية والآثار السلفية، فليتعظوا بالوقائع التاريخية.

وفي الفصل الرابع عرض المؤلف (أسباب فتنة التفجيرات والاغتيالات)، ومن أهم ما جاء في هذا الفصل ما يلي:

الجهل بكتاب الله وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبأحكام التكفير وقواعده، وكذا الجهل بمقاصد الشريعة.

عدم لزوم منهج السلف أمام فتنة الحكم بغير ما أنزل الله في كثير من بلاد المسلمين، وكذا عدم لزوم منهج السلف في تغيير المنكرات الظاهرة.

الجهل بالسنن الكونية في التمكين في الأرض، وأن ذلك لا يكون إلا بالصبر والتحمل لأذى الكفار، فكيف لا نصبر على أذى المسلمين؟!!

الطعن في كبار علماء السنة والنيل منهم، ورميهم بأنهم علماء سلطة، وأنهم عبيد العبيد، وأنهم جهلة بالواقع وسطحيون، وملبس عليهم من قبل الحكام، وأنهم ليسوا مرجعا موثوقا به، وغيرها من الافتراءات.

الخطأ في فهم المراد بالمرجعية الموثوق بها في الفتوى، والتلقي عنها، فبعضهم يتخذ الخطيب المفوه مرجعا، ومنهم من يتخذ الشاعر الملفق مرجعا.

تصنيف أهل الحق وإلحاقهم بالفرق الضالة، وتجاوز الحد في الكلام على بعض المخالفين اعتماداً على قواعد منحرفة عن منهج السلف.

إحداث عدد من القواعد والفتاوى في التكفير للمخالف، وهذه القواعد مصادمة للأدلة ولمنهج السلف، وذلك راجع للجهل في أمور كثيرة.

ضعف الدور الذي قام به العلماء والدعاة في التصدي لشبهات حملة هذا الفكر من بدايته، اشتغالاً منهم بأمور علمية ودعوية أخرى، وهي في نظرهم أهم وأكد، أو ربما رأوا أن غيرهم قد قام بما يكفي في ذلك.

ومن الأنصاف أن يقال: أن من هذه الأسباب أيضا المعاملة القاسية والقمع العشوائي من الأجهزة الأمنية المختصة في كثير من البلدان لمن له صلة بالدعوة إلى الله تعالى ولو من بعيد، بل ربما ابتلي البريء في بعض البلدان بلاء أشد وأنكى من دعاة هذه الأفكار.

والتحذير من هذا الأسلوب لا يلزم منه التحذير من الحزم أو الحسم والوقوف بقوة أمام الفتن وأهلها، إلا أن ذلك كله مقيد بشريعة الله تعالى، لا بالأهواء والتشهي.

أما الفصل الخامس، وهو قبل الأخير تعرض فيه الشيخ المؤلف لـ (كيفية علاج فتنة التفجيرات والاغتيالات)، فقال إن من المعلوم أن العلاج لأي مشكلة يكون بتجنب أسبابها، وقد سبق ذكر هذه الأسباب، وهنا محل ذكر العلاج إن شاء الله، فمن ذلك:

تلقي العلوم عن المشايخ المأمونين، والصدق في هذا التلقي، لا أن ينتسب المرء إلى شيخ معروف بالعلم والحلم، فيأخذ عنه بعض العلوم، ويأخذ المسائل العامة والمصيرية من الخطباء والشعراء والمتحمسين، سواء كانوا أصحاب تكتلات سرية، أو حزبيات طائفية، ثم يجعل ما أخذه عن هذا الشيخ سبيلا يمود به على من لا يحسن معرفة الأمور، ويدعي أنه درس على يد فلان.

الإشادة بجهود العلماء ونشر مناقبهم، وذكر محاسنهم، وبيان فضل اتباع أهل العلم في الحق، حتى تجتمع القلوب عليهم، فإن في ذلك صلاح الدنيا والآخرة، ولأن نجتمع على علمائنا في مثل هذه المسائل - وإن حصل خطأ ما - خير من الافتراق عليهم، وخير من التنازع المفضي للفشل والخزي وسقوط هيبتهم.

الرجوع إلى المرجعية الصحيحة في بابها، فكل باب له مرجع، فالفتوى لا سيما في النوازل عند أهل الاجتهاد والإدراك، والخصومات عند القضاة والحكام، ومسائل الطب عند المتخصصين فيه، وكذا مسائل الاقتصاد والسياسة.

نهوض العلماء والمربين بدورهم في العلاج والتوجيه والتربية، لأن العلماء إذا ماتوا أو غابوا، أو غيبوا عن الساحة رجع الناس إلى رؤوس جهال.

نشر مذهب السلف في كيفية التعامل مع المنكرات الظاهرة في كثير من المجتمعات، وفي علاج الفكر المفضي إلى التكفير والتفجير في جميع مراحله الثلاث.

ومن الدواء النافع والذي لا بد منه: قيام ولاة الأمور بما أوجبه الله عليهم من الحكم بما أنزل الله تعالى في كل كبيرة وصغيرة في الظاهر والباطن، وفي الأقوال والأفعال والعقائد والنيات.

محاربة الغلو بجميع صوره، ويسلك في ذلك أولا طريق النصح والمناقشات العلمية الهادئة التي تكسوها الشفقة والرحمة بالمخالف المحب للحق وإن ضل السبيل، وإلا فالردود العلمية بدون تجاوز أو تقصير، وإلا فتحذير الأمة من الغلو ومن سلك مسلك الغلاة بأعيانهم إن تعين ذلك.

معاملة ولاة الأمور لمن انحرف عن الجادة في الفهم من الشباب معاملة شرعية، تكون عونا لهم على العودة الصحيحة، ويكون ذلك بفتح باب المناظرات العلمية المتجردة المنصفة، فإن الحجة لا تدحضها إلا حجة أقوى منها.

مراعاة التربية الصحيحة في الأسرة والمدرسة، واختيار الصديق الصالح للأبناء، والحذر من الانجرار وراء العواطف المخالفة لنصائح أهل العلم، والتحدث بها أمام الصغار.

الاهتمام بدراسة قصص الأنبياء والدعاة إلى الله في كل عصر لمعرفة سنة الله الكونية في التمكين، وأن تغيير المنكرات يحتاج إلى نفس طويل، وصبر جميل، وأن الاستعجال والتعصب والغضب والحدة كل ذلك ليس من عمل المصلحين.

وفي ختام كتابه، وفي الفصل السادس منه تحدث المؤلف وباختصار عن (شبهات المجيزين للتفجيرات والاغتيالات والرد عليها)، ويلخصها فيما يلي:

يقولون: نحن لا نسلم بأن ابن باز وابن عثيمين والألباني ومن على شاكلتهم من جملة العلماء أصلا، فلا نرجع إليهم فيما هو دون هذه المسائل، فكيف بهذه النوازل العامة ؟!

الجواب: أن هذه هي الفتنة في الدين!! فالخوارج لم يرضوا بعدالة ولا علم الصحابة، فضلوا وأضلوا، ونجد في هذا العصر شبابا خالفوا العلماء بل كفروهم، وهؤلاء المذكورين من علمائنا هم العلماء وهم المرجع في النوازل، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها).

يقولون: لماذا تتكلمون على أخطائنا، ولا تتكلمون على أخطاء الحكام مع كثرتها واشتهارها ؟

الجواب: نحن لا نخرج عن طريقة السلف وموقفهم إن شاء الله، وهو: الرد مفصلا على أخطاء من ينتسب إلى العلم والدعوة إذا خالف جادة أهل السنة، لاسيما فيما تعم فيه البلوى.

وموقفهم تجاه الحكام: الصبر على ظلمهم مع نصحهم إن أمكن سرا، وعدم ذكر مثالبهم أمام الناس، والتعاون معهم في حدود نصرة الحق، وإذا أراد أحد الخروج عليهم نهوه، وخالفهم في ذلك أهل البدع، فلم يصبروا على ما رأوا من منكرات، فسلوا سيوفهم، فعادوا على الأمة بشر، فمنهج السلف مأخوذ من الكتاب المستبين والسنة الثابتة والإجماع المتيقن، ومن أجل ذلك كانوا وسطا بين الفرق.

والجدير بالذكر أن الكتاب وإضافة لمقدمة المؤلف فقد قدم له الشيخ أبو حمزة سيد بن محمد المنياوي، وبدأ تقديمه بقوله: " لقد هبت في عصرنا ريح طيبة أثلجت صدور العلماء والمصلحين برجوع كثير من الشباب إلى طريق الهداية ونبذهم لطرق الضلالة والغواية ".

وأضاف: " فقد صاحب هذه البشارة نذارة، صحابها ريح عاصف، وأصابها صرٌّ قاصف؛ إذ أضحت الأمة وقد ذرّ فيها قرن الغلو المذموم، وطعن في ظهرها خنجر العدو المسموم، فتنكر كثير من الشباب لما كان عليه سلفهم الصالح: نجوم الهدى، ورجوم العدا، وأمان أهل الأرض من الضلالة والردى، تنكروا لما كانوا عليه رضي الله عنهم من الإعتدال والتوسط، والتأني والتؤدة، وحُسن تقدير المصالح والمفاسد.

وفي المقابل: استحسنوا إقامة التنظيمات السرّية، والتحزبات البدعية والتكتلات العصبية، والطعن في حكام المسلمين، والمبالغة في تكفيرهم، وتهييج العامة والدهماء عليهم بذكر عيوبهم ومثالبهم بشتى الوسائل المتاحة لهم، وللأسف فقد (وافق شنٌّ طبقة)، وجاء هذا الحماس الزائف، فوافق - عند كثير - قلبًا خاليا؛ فتمكن، فطار كل مطار، وهبّ هبوب الريح في الأمصار.

فسار مسير الشمس في كل بلدة وهبّ هبوب الريح في البرّ والبحر

حتى عظمت ببعضهم البلية، فطعنوا في علماء الدعوة السلفية: أتباع السلف الصالح، وأنصار المذهب الراجح، فاتهموهم بالعمالة تارة، وبالجبن والركون إلى الدنيا تارة أخرى، وبأنهم عبيد العبيد، والمتعلقون بذيل بغلة السلطان، إلى غير ذلك من الظلم والجهل والتهور والمجازفة ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾، وصدق من قال:

فإن يك عامرٌ قد قال جهلاً
فإنّ مَظنّةَ الجهل الشبابُ

وأمام هذا الطوفان الهائج، والموجة الكاسحة من خبث الأعداء، وجهل الكثير من الأبناء، وعجز الكثير من الصلحاء: ننادي بما نستطيع في ساعة العُسْرة علماءَ الملة ومن تبعهم بإحسان، ذاكرين قول الله تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾، أيها العلماء: إن غبار الفتنة ثائر، وقد تولدت من تحته هذه الأوابد والفواقر، فلا تتماروا بالنذر، والله عز وجل يقول: ﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾، ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾.

احذروا كيد الكائدين لدعوتنا، خذوا على يد العابثين المخالفين لنحلتنا، وفندوا شبهات المحرّفين لمنهج أمتنا، الملوّثين عقول شبابنا، المبددين جهودنا وطاقتنا.

وانطلاقا من واجب النصيحة لله ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ولأئمة المسلمين وعامتهم، وبراءة للذمة، ورجاء ما عند الله تعالى؛ قام شيخنا أبو الحسن السليماني - سدده الله تعالى - قيام الرجل الواعي؛ فانبرى قلمه للأمة خطيبا، وعن شبهات المخالفين مجيبا مصيبا، ولأن شيخنا متمكن في علمه، ومهيمن على رَسْم قلمه، فقد أجاد في النصيحة، وأرشد إلى السبيل الصحيحة، ووُفق في وصف الدواء بعد تشخيص الداء، هذا مع حُسْن الأسلوب، وحجة تأسر القلوب، معتمدا في ذلك على الكتاب والسنة بفهم السلف والأئمة، ممن سبَرَ واعتبر، وأحاط واحتاط، واشتفى وارتقى، سالكا في ذلك سبيل العدل والإنصاف، ومجانبا لسبل الظلم والإجحاف؛ وذلك في كتابه النافع: (فتنة التفجيرات والاغتيالات.. الأسباب - الآثار - العلاج).

لَعَمْري لقد نبّهت مَنْ كان نائما وأسمعتَ مَنْ كانت له أذنان

- العلاج بتلقي العلوم عن المشايخ المأمونين والرجوع إلى المرجعية الصحيحة
- محاربة الغلو بجميع صوره ومراعاة التربية الصحيحة في الأسرة والمدرسة

ترويع الآمنين وقتلهم ليس من الدين في شيء